مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (١٠) العدد (٥) ٢٠٢٦
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (10) No. (5) 2026

جماليّات استدعاء الرمز التاريخي في روايات نضال الصالح
"خبر عاجل، حبس الدم، سهر الورد أنموذجاً"

***د.غدير أحمد يوسف**

****مرح محسن شيحا**

(تاريخ الإيداع ١١/٢٥ /٢٠٢٥. قُبِل للنشر في ٢/١٧ /٢٠٢٦)

□ ملخّص □

يهدف هذا البحث إلى دراسة آليات استحضار الرمز التاريخي في الرواية التاريخية المعاصرة، متخذاً من ثلاثية الروائي "نضال الصالح" (خبر عاجل، حبس الدم، سهر الورد) مادةً للتحليل. ينطلق البحث من فرضية أنَّ التخييل الروائي يمثل أداة نقدية ومعرفية تتجاوز حدود النقل التوثيقي إلى آفاق إعادة التأويل، وذلك من خلال إضفاء البعد الإنساني على الشخصيات التاريخية، وفحص علاقتها بقضايا القهر والسلطة. وبالاعتماد على المنهج التحليلي الوصفي، يسعى البحث إلى تبيان كيف نجح التخييل في خلخلة المرجعيات التاريخية الثابتة، وتحويل الرمز من مادة جامدة إلى كيان وجداني حيّ، مما يجعل من المنجز السردي لنضال الصالح إضافة نوعية تغني المتخيل الروائي العربي، وتؤكد انتصار سلطة الثقافة والمعرفة في مواجهة الاستبداد.

الكلمات المفتاحية: التخييل الروائي، الرواية التاريخية، نضال الصالح، الرمز التاريخي.

* مدرّس في قسم اللغة العربية/كلية الآداب– جامعة طرطوس.

**طالبة ماجستير في قسم اللغة العربية في جامعة طرطوس، ٠٩٨٢٤٠٥٣٠١.

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (١٠) العدد (٥) ٢٠٢٦
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (10) No. (5) 2026

Aesthetics of Evoking and Shaping the Historical Symbol in Nidal Al-Saleh's Novels "Khabar 'ajel, Habs al-dam, Sahar al-ward as a Model"

***Dr. Gadir Ahmad Yousef**
****Marah Mohsen Sheeha**

(Received 25/11 /2025. 17 /2/2026)

□ ABSTRACT□

This research aims to study the mechanisms of invoking historical symbols in the contemporary historical novel, taking the trilogy of the novelist "Nidal Al-Saleh" (Khabar 'ajel, Habs al-dam, Sahar al-ward) as a subject for analysis. The study proceeds from the hypothesis that literary fictionalization represents a critical and cognitive tool that transcends the boundaries of documentary transmission into the horizons of re-interpretation. This is achieved through the humanization of historical characters and examining their relationship with issues of oppression and power. Relying on the analytical-critical method, the research seeks to demonstrate how fictionalization succeeded in destabilizing fixed historical references and transforming the symbol from a rigid material into a living emotional entity. This makes Nidal Al-Saleh's narrative achievement a qualitative addition that enriches the Arabic novelistic imagination and confirms the triumph of the authority of culture and knowledge in the face of tyranny.

Key words: Literary Fictionalization, Historical Novel, Nidal Al-Saleh, Historical Symbol.

*Master's student in the Arabic Language Department at Tartous University, 0982405301.

**Lecturer in the Arabic Language Department, Faculty of Arts, Tartous University.

المقدمة:

تعد الرواية العربية المعاصرة، ولاسيما تلك التي انشغلت بالمادة التاريخية والتراثية، تجلياً واضحاً لتحول التخييل من مجرد أداة لسد فجوات التاريخ إلى منهج في القراءة وإعادة الإنتاج. لقد أدرك الروائيون العرب ضرورة تجاوز التوظيف التقليدي للتراث، ليصبح التخييل (Fictionalization) الآلية الفنية التي تسمح لهم بممارسة رؤيتهم النقدية والأيديولوجية على الماضي.

في هذا السياق، لم يعد التخييل مقتصراً على "اختلاق الأحداث"، بل تحول إلى قوة معرفية منتجة تُمارس سلطتها عبر إعادة تشكيل التاريخ. إنه، بعبارة أدق، خطاب مضاد؛ يُستدعى فيه الرمز التاريخي (كالمتنبي والسهروردي والأسدي) ليس للتوثيق، بل لتوجيه أسئلة القهر الوجودي والسياسي إلى الحاضر.

ومن هنا، تبرز روايات نضال الصالح كتجربةٍ متميّزةٍ في توظيف التخييل التاريخي، حيث لا تكتفي الرواية بالسرد، بل تتخذ من التخييل وسيلة لتنفيذ ثلاث وظائف حاسمة: التأويل، والأنسنة، ونقد القهر. هذه الوظائف هي التي ستُشكّل محور هذا البحث.

أهمية البحث

تنبع أهمية البحث من أن إبداع الصالح قدّمَ إضافةً نوعيّةً للمدوّنة السرديّة المعاصرة، إذ اجتمعت في أدبه فرادة الأسلوب والتعبير وحداثة التجربة، مع ثقافة الناقد الأصيل. وتكمن الأهمية في تقديم قراءة نقدية تثبت أن التخييل هو الأداة الأكثر صدقاً للاقتراب من حقيقة الذات البشرية في خضمّ العبث التاريخي.

أهداف البحث

-إثبات أن التخييل يُخضع نصوص الرموز الفكرية والشعرية لمنظوره ليغير دلالتها من حقيقة تاريخية إلى رؤية نقدية معاصرة.

-دراسة الوظيفة التخييلية الأكثر عمقاً: كشف الذات والوجدان، وتأكيد أن التخييل هو الأداة لكشف الوجع الإنساني المعمّم.

-تحديد دور التخييل في تفكيك التاريخ الرسمي الذي كتبه المنتصرون، وإعلان سلطة الثقافة كقوة وحيدة باقية.

منهج البحث

يعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي الوصفي في قراءة النصوص المقتبسة والروائية، بهدف تفكيك بنى الخطاب التخييلي واستنطاق دلالاته الرمزية والنقدية.

التعريف بالروائي والروايات المختارة:

يعدّ نضال الصالح (مواليد حلب ١٩٥٧) من أبرز القامات الأدبية والنقدية السورية المعاصرة، حيثُ جمعَ في مسيرتهِ بين الإبداع السردي والبحث الأكاديمي الرصين. نالَ درجة الدكتوراه في النقد الأدبي الحديث من جامعة حلب عام ٢٠٠٠م، بتقدير امتياز، وعملَ مدرّساً للنقد في جامعتي حلب ودمشق، كما شغلَ منصب رئيس اتحاد الكتّاب العرب في سورية (٢٠١٥-٢٠١٩). يمتلك الصالح رصيداً إبداعيّاً غنيّاً يتنوّع بين القصّة القصيرة مثل "مكابدات يقظان البوصيري"، والدراسات النقدية مثل "النزوع الأسطوري في الرواية المعاصرة"، وصولاً إلى منجزه الروائيّ الذي يمثّلُ متن هذا البحث، ويشمل روايات: حبس الدم، خبر عاجل، سهر الورد. حازَ الصالح على أكثر من عشرين جائزة أدبية

عربية وسورية، ويعرفُ بأسلوبهِ الذي يمزجُ بين فرادةِ التعبير وثقافة الناقد، مما جعلَ منجزهُ محاولةً جادّةً للخروجِ من الأطر التقليدية، وتقديم رؤية متفرّدة للأصالة والإنسانية[٤].

٢-ملخّص الروايات:

غلبَ على روايات الصّالح الطابع الإنساني والوطني المشبع بالواقعيّة، بدايةً من روايتهِ الأولى "جمر الموتى"، التي لم تدخل في البحث لعدم احتوائها على شخصية تاريخية، رغمَ بعدها الإنساني، وصولاً إلى الروايات التي تمثّلُ جوهرَ البحث، إذ يغلبُ البعدُ الإنسانيّ أوجهُ، ويُمثَّلُ الانتماءُ المكانيّ وحتّى الزمانيّ بأبهى صورهِ، ويمتزجُ الخيالُ مع الواقعِ، ليقدّمَ الصالح لوحةً تجتمعُ فيها التجربةُ العامّة والخاصّة، بكلّ تفاصيلها، وبتعدّدِ مواقفها.

كُتِبت الروايات التي اختارها البحث خلال الحرب السوريّة، يُمكنُ عدّها توثيقاً لما حدثَ على المستوى السياسيّ، والعسكريّ، والاجتماعيّ، والثقافيّ والتعليميّ، ولاسيّما عندَ تصويرها لأزمة الأخلاق رغمَ وجودهِ في كل المجتمعات، الذي يعدُّ حاصلاً وواقعاً في كلّ زمانٍ ومكان، باختلاف النسب بينَ حينٍ وآخر. لكن ما يميزُ روايات الصالح المختارة، إضافةً إلى حداثةِ الأسلوب وتصوير الواقعِ بأدواتِ السردِ الروائيّ؛ هو طريقةُ استدعاءِ الشخصيّات التاريخيّة، وتحويلها إلى شخصيّاتٍ حكائيّة، ليمزجَ الصالح بينَ تصويرِ الواقعِ الراهن ونقلهِ روائيّاً بتفاصيلهِ الدقيقة، وإعادةِ كتابةِ تاريخِ تلكَ الشخصيّات المستدعاة بصورةٍ صحيحةٍ، باستخدامِ وثائق تاريخيّة، أخضعها ضمنَ المتن الروائيّ، تلكَ الشخصيّات التي شُوّهت قصداً لأسبابٍ موجودة، أو من غيرِ قصدٍ وعمدٍ يتعلّقُ سببهُ بقلّة البحث والدراسة، فغدت الروايات تصويراً أدبيّاً يحاكي الواقع من جهة، وتصحيحاً لما جاءَ من تشويهٍ للشخصيّات التاريخيّة من جهةٍ أخرى.

صوّرت روايات الصالح الحياة السوريّة بمختلف مكوناتها وشرائحها خلال الحرب السّوريّة، بدايةً مع روايةِ "حبس الدمّ" التي صوّرَ فيها ما جرى في حلب منذُ قيّام الثورة السّوريّة، مبيّناً ما أصابَ المجتمع السّوري من ويلات الحرب، باختلافِ طوائفهِ وطبقاتهِ الاجتماعيّة، موضّحاً المفارقات بينَ الزمن القديم والزمن الراهن في سورية عامّةً، ومدينة حلب بخاصّة، من خلال التوازي في السّرد ضمن فقرات تعود إلى فترات زمنيّة متفاوتة، عن طريقِ استدعاء شخصيّة العلّامة خير الدين الأسدي، ليقومَ بالتصريحِ وتصحيحِ ما عُرفَ عن حياتهِ بلسانهِ الروائيّ، فاضحاً ما تعرّضَ لهُ العلّامة من تهميشٍ وتقزيمٍ لشخصيّتهِ وإهمالٍ لدورهِ في إنعاش الحياة الثقافيّة في سورية.

وفي روايةِ "خبر عاجل"؛ يُعالج الكاتب القضايا التي تتعلّقُ بخرابِ العقول، وانحلال الأخلاق، ولاسيّما في الحقل الثقافيّ، الذي زادت وتيرتهُ خلال الحرب في سورية، إضافةً إلى تصويرِ الخراب الذي لحقَ بمدينة حلب وريفها، ليؤدّي بشخصيّةِ "جدّهِ المتنبّي" دورَ المبشّر بالأمل ولو بعدَ حين.

أمّا في رواية سهر الورد التي كتبت أيضاً أثناءَ القصفِ والخطف، خلال الحصار والدمار، بينَ الجثث والتفجيرات؛ ينتصرُ نضال الصّالح لإنسانيّةِ الإنسان، بأسمى صفات الوجود "الحبّ"، باستدعاءِ شخصيّة العلّامة الصّوفي السهروردي، الشخصيّة الروحانيّة التي تتنبّأُ بمصير حلب، ومآل الشّهباء نتيجةَ الحرب، عبرَ سلسةٍ من الاستباقات الزمنيّة، والرموز الدينيّة، التي تدعو القارئ إلى البحث وسطَ الخراب والأنقاض عن الضمير الإنساني.

تشترك الروايات الثلاث بأنّها كُتبت خلال الحرب في حلب، الحاضنة المكانية الأثيرة للصالح والشخصيّات التاريخيّة المستدعاة، وفي المصير المتشابه المعلوم لتلكَ الشخصيّات التي لم يخترها الصالح عبثاً، كما سنبيّن في المجهود القادم.

[٤] انظر: حمّادة، محمد سعيد: نضال الصالح أديباً وناقداً دراسات وشهادات، ص١٠-١١-١٦٥-١٦٦-١٦٧.

جدليّة الحقيقة التاريخية والتخييل الروائي

إنَّ التخييل التاريخي، كما يرى المنظور النقدي، يتجاوز مهمة السرد التوثيقي التقليدي للتاريخ، فالتخييل التاريخي أرجحُ بأن يطلقَ عليه المهمة التي تسعى إليها الرواية في علاقتها بالتاريخ، كونهُ يمثل تفكيراً فيما وراء الأحداث والشخصيات. وبذلك؛ يصبح هدف الرواية ليسَ إعادة سرد الوقائع الكبرى؛ بل تحقيق "الإيقاظ الشعري" للدوافع الاجتماعية والإنسانية، مما يتيح للقارئ أن يعيشَ الأسباب الجذرية العميقة لتصرفات الشخصيات التاريخية، وهو ما يؤكد أنَّ التخييل هو الأداة الفنية التي تكشفُ عن حقيقة الذات البشرية في خضمِّ العبث التاريخي[٥].

يؤكد هذا المنظور على أنَّ القوة التخييلية للرواية تكمن في قدرتها على الاشتباك مع جوهر الحكاية، بعيداً عن صرامة الوثيقة. فبدلاً من أن يكون التخييل مجرد اختلاق أو تجميل؛ يتحوّل إلى آلية استدعاء للأصول المعرفية والثقافية التي تمثّل عمق الذاكرة البشرية.

ومن هذا المنطلق؛ يرى بعض الدارسين أنَّ التاريخ تدوين لسير الحضارة الإنسانية، ومن ثمَّ ينبغي أن يرتبط بالفن أو يتغيّاه، فالأصلُ الحقيقي للتاريخ يكمن في الحكاية جنساً واحداً في رحم الأسطورة، بوصفها تعبيراً عن البشري والكوني. ومن هنا؛ يتحول التخييل الروائي إلى أداة لاستنطاق ما يسميه عبد السلام أقلمون "الذاكرة الأجناسية للتاريخ"، التي أغفلها التاريخ العلمي[٦].

يمثّل هذا المقام نقطة الالتقاء بين خطابين معرفيين: التاريخي الساعي إلى التوثيق والضبط، والروائي المتوجّه نحو الاحتمال والتأويل. ولذلك؛ يصبحُ لزاماً تحديد المفاهيم المنهجية التي تحكم العلاقة بين المادة التاريخية وإعادة إنتاجها فنياً؛ وعلى رأسها مصطلحات التخيّل والتخييل والرؤية.

يعدّ التخييل الروائي عمليّة معقدة، تبدأ بوعي ذهني وتنتهي بناتج فني مكتمل، ويمكن تحديد الفروقات بين المصطلحات الأساسية على النحو التالي[٧]:

التخيل: هو عمل ذهني للمبدع، إنّه الفعل الأولي، أو الملكة التي تجري بها عمليات التفكير والتركيب والفهم.

التخييل: هو النتاج الإبداعي في صورته النهائية، أو الصناعة/ اللغة التي تترجم بها القوة الحافظة للصور إلى نصّ. هو جماع التخيل والتخييل، وهو القائم على نسق التناسب الفني. بعبارةٍ أخرى؛ إذا كان التخيل هو القوة المولّدة؛ فالتخييل هو البناء الفني المنجز.

الرؤية: تعدّ الرؤية جوهر العمل الفني ونواته الفكرية، وهي الموقف الفكري الذي يصدر عن قناعة الروائي ويعبر عن مفهومه ونظرته للحياة. والرؤية هي المنظور القائم على ثقافة متنوعة قادرة على الاختيار والتأليف وفقاً للوعي بقصد معين.

أي أنَّ الرؤية هي المنبع الأيديولوجي والجمالي الذي يوجه عملية التخييل بالكامل.

في ضوء العلاقة بين هذهِ المصطلحات؛ يُمكن تعريف وظيفة التخييل الروائي لهذا البحث كالتالي:

التخييل الروائي هو الآلية الفنية التي تتيح للروائي ممارسة رؤيته النقدية على المادة التاريخية، ليحولها من حقيقة سابقة إلى إمكان فني.

---

[٥] انظر: لوكاتش، جورج: الرواية التاريخية، ترجمة: صالح جواد الكاظم، دار الشؤون الثقافية العامة، ط٢، بغداد، ١٩٨٦،ص٤٦.

[٦] انظر: أقلمون، عبد السلام: الرواية والتاريخ سلطان الحكاية وحكاية السلطان، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠١٠، ص١١٥.

[٧] انظر: رشيد، أمجد مجدوب، السرد: الأنساق السيميائية والتخييل، ص٣٠-٣١.

المحور الأول: التخييل آليّة للحوارية النصية وتأويل الموروث

في هذا الجانب لا يكتفي الروائي باستدعاء الشخوص؛ بل يخضع نصوصهم الفكرية والشعرية لسلطة التخييل، ليغير دلالتها من حقيقة تاريخية إلى رؤية نقدية معاصرة، مما يُنشئ حوارية بين الماضي والحاضر.

إنَّ ممارسة الروائي نضال الصالح لسلطة التخييل في هذا المحور تنطلق من قناعته بأنّهُ مؤرّخٌ بامتياز، لا يكتب التاريخ؛ بل يختارهُ بوعي، منفذاً آلية التأويل. هذهِ الآلية تمنحهُ الحق في تخليص المادة التاريخية، فبدلاً من أن يلتزمَ بالسرد الشامل؛ يختارُ مفصلاً زمنياً، ليمنحهُ حياةً من لحمٍ ودم[٨].

لذلك؛ فإنَّ التخييل في روايات الصالح لا يكتفي باستدعاء الشخوص؛ بل يعيد قراءة نصوصهم الفكرية والشعرية وفقاً لمنظورِ التخييل الروائي، ليغيّر دلالتها من حقيقةٍ تاريخية إلى رؤية نقدية معاصرة، وهو ما يتجلى في تحويل الفخر الذاتي للمتنبي إلى نقدٍ ووجودي.

١-تحويل الفخر الذاتي إلى نقد وجودي متجذر:

يُمارس التخييل سلطتهُ على نصوص المتنبي، عبر إبقائها مع تغيير سياقها ودلالتها، ليتحول الشاعر من رمز للكبرياء الفردي؛ إلى حامل للوجع الإنساني المعمّم. فبينما كان البيت الشعري يعبّر عن تمايزهِ الشخصي؛ يتم وضعهُ في إطار يغلب عليه المرارة واليأس الشامل، حيث ينشد الشاعر[٩]:

ودهرٌ ناسهُ ناسٌ صغار

وإن كانت لهم جثثٌ ضخام

وما أنا منهم بالعيش فيهم

ولكن معدن الذهبِ الرغام[١٠]

الأهم هنا هو الإضافة السردية التي خلقها التخييل: "وبعد أن صمتَ قليلاً أنشدَ وثمّة وجعٌ فادحٌ يتساقط من عينيه". هذا الوصف الوجداني هو خلقٌ روائيٌّ محضٌ، يفكّكُ الأنا المتضخمة تاريخياً للمتنبي ويحولها إلى رمز للذات المتألمة، مثبتاً أنَّ التخييل هو الأداة لكشف الحقيقة المسكوت عنها.

فالتأويل الروائي هنا ينسفُ الدلالة التاريخية القديمة، التي كانت تهدفُ إلى مدح الذات وتفوقها على الأقران، ويستبدلها بدلالةٍ معاصرةٍ تؤوّل الأبيات بوصفها موقفاً نقديّاً جذرياً يرفضُ صغر الواقع المعاش، وانحطاط القيم فيه. بذلك؛ لم تعد الأبيات الشعرية فخراً، بل أصبحت إدانةً، حيثُ تتدخّل الإضافة السرديّة التخييلية لتعيدُ تأويل الكبرياء المعهود عن المتنبي، بوصفهِ قناعاً هشّاً لشقاء إنسانيّ عميق، مما يثبتُ أنَّ التخييلَ الروائيَّ نجحَ في تأويل المسكوت عنه في الذات الشاعرة، محوّلاً إيّاها من رمزٍ للسلطةِ اللغويّةِ إلى رمزٍ للمقاومةِ الوجدانيّةِ ضدَّ القهر.

٢-التخييل في أنسنة المكان وكشف سلطة المعرفة

يتمّ استخدام التخييل هنا لتحويل السيرة الشخصية للأسدي إلى مرثيّة ثقافية عامة، بحيث يخاطب الروائي المكان (حلب) ككيان وجداني "**منحتك يا حلب، كل ما انطوى عليه قلبي من كنوزِ الخير..**"[١١]. إنَّ التخييل لا يتوقف عند إعطاء صوت للشخصية؛ بل يعيد تعريف موته وفشلهِ أمام السلطة ليجعلهُ انتصاراً معرفياً وثقافياً "**يا نقمةَ الطغاةِ**

[٨] انظر: الدسوقي، عاصم: فن الرواية وعلم التاريخ، مجلة الرواية قضايا وآفاق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٢، القاهرة، ٢٠٠٩، ص٢٨٠.

[٩] الصالح، نضال: خبر عاجل، دار الآن ناشرون وموزعون، عمّان، ٢٠٢٠م، ص٧٣.

[١٠] نُشرت الأبيات الشعرية في المتن الروائي بنظام السطر الشعري المتتالي، وقد حافظَ البحث على هذا التوزيع، كما وردَ في المصدر الأصلي، مراعاةً لخصوصيّة الرؤية الفنية للروائي.

[١١] الصالح، نضال: حبس الدم، دار دلمون الجديدة، دمشق، ٢٠١٩، ص٥٦.

في حلب، لتكن ذكراك هانئة، فصياحها يطلع عليَّ بأثرٍ جديد، وينعمُ معهُ بدفءِ الأنسِ بين مجلدات خزانتي"[١٢]. التخييل هنا يثبت أنَّ الخلود الحقيقي للأسدي ليسَ في التاريخ المادي، بل في دفء الأنس بين مجلدات خزانتي، مؤكداً رؤية الروائي في تمجيد السلطة المعرفية على الطغيان السياسي.

٣-تحويل الفلسفة إلى زهد كاشف وموقف سياسي

كما يتجلّى التخييل في إخضاع الفلسفة الصوفية للسهروردي لخدمة الرؤية النقدية والزهد الثقافي في وجه السلطة، فالروائي لا ينقل نصوصه حرفياً، بل يضعها في سياق المواجهة المعرفية.

يُعلن السهروردي رؤية تتجاوز الواقع المادي والسياسي نحو قوة المعرفة[١٣]:

"**ما عنيتُ بالملك والحكم ما يعنيان في الظاهر، بل قوة المعرفة التي تعيد أهل الزمان إلى ما كانوا عليه من صورة نور الأنوار..**". فهذا القول التخييلي يحوّل الزهد الصوفي من مسألة فردية إلى موقف ثقافي معارض، يعتبر قوة المعرفة هي السلطة الحقيقية الوحيدة القادرة على إنقاذ الأمة من الدم والموت والخراب.

المحور الثاني: التخييل آلية لأنسنة الرمز وكشف الوجدان

إذا كانَ المحور السابق قد تناولَ التخييل بوصفهِ آلية لغوية وفكرية في تأويل النصوص المرجعية؛ فإنَّ هذا المحور ينتقل لدراسة الوظيفة التخييلية الأكثر عمقاً: كشف الذات والوجدان. إنَّ التخييل في الرواية يدرك أنَّ التاريخ الرسمي، بتركيزه على الأحداث الكبرى والصراعات السياسية، قد أغفلَ عن قلق الإنسان وضعفهِ وعواطفهِ، خصوصاً عندما يتعلق الأمر بشخصيات مأزومة ومتمردة كالمتنبي والسهروردي.

من هذا المنطلق؛ يصبح الهدف الأساسي للروائي هو أنسنة الرمز؛ أي تحرير الشخصية التاريخية من هيمنة "الصورة العامة" ليصبحَ كياناً بشرياً يمتلك أحاسيس وقاقاً ملموساً. إنَّ التخييل هو الأداة التي تكشفُ أنَّ الشقاء الذي تحدّث عنه المتنبي ليسَ مجرّد موقفٍ فكريٍّ؛ بل هو حالة وجدانية ملموسة، تعبر عن الخيبة النهائية للطموح.

١-تحويل المتنبي إلى جد حنون يعلن اليأس الوجودي

يمارس التخييل الروائي ذروة التجسيد الوجداني للرمز في شخصية المتنبي، حيث يعمل على إزاحتهِ عن صورتهِ النمطية في الذاكرة العربية، بوصفهِ الشاعر الفحل المتعالي، ليعيد تشكيلهُ في صورة الجد الحنون، ومصدر للأمان الوجداني.

تبدأُ هذهِ الأنسنة بحوارية مقتضبة، لكنها ناسفة للمسافة التاريخية، فحين يسأل السارد بدهشة: "**جدّي؟**[١٤]"، **يجيبهُ المتنبي بتواضعٍ جمّ: "إن شئت"**[١٥]. هذهِ العبارة تعدُّ انقلاباً تخييلياً على الأنا المتضخّمة للمتنبي، إذ تجعلُ قرابتهُ من الحفيد المعاصرِ خياراً عاطفياً طوعياً مبنياً على الحاجةِ للدفءِ، لا إرثاً مفروضاً من الماضي.

وتتعزز هذهِ الصورة عبر التقارب الجسدي الحميمي؛ ففي مشهدٍ تخييليٍّ بالغِ الدلالة؛ يبادر المتنبي إلى الأخذ بيد حفيذهِ المعاصر "**ثمَّ أمسكَ بيدي، فصعدنا درجَ القلعة**"[١٦]. وتتعمّق الطمأنينة حين يتحول كتف السارد إلى مسند لراحة الجد "**ظللتُ مستسلماً لراحةِ يمناه وهي تغفو مطمئنّةً فوقَ كتفي**"[١٧]. هذا الاتصال الجسدي يلغي الزمن، ويحول المتنبي من تمثال لغوي إلى إنسان يمنح السكينة.

[١٢] المصدر نفسه: ص٥٦.
[١٣] الصالح، نضال: سهر الورد، ص١٠٦.
[١٤] الصالح، نضال: خبر عاجل، ص٤١.
[١٥] المصدر نفسه: ص٤٢.
[١٦] المصدر نفسه: ٤٣.
[١٧] المصدر نفسه: ص٤٣.

وكما أنسنَ التخييل سلوك المتنبي؛ فقد أنسنَ رؤيتهُ الفلسفية أيضاً؛ فبدلاً من لغة الحرب؛ يكشف الروائي عن فلسفة الحب المضمرة لديه، حين يجعلهُ يرى المدن بعين العاشق "**المدن كالنساء لا شيء يحفظ لها نضارتها مثل الحب**"[١٨].

وتكتملُ دورة كشف الوجدان حينَ يسقط التخييل قناع الكبرياء تماماً، أثناءَ إنشاد الشعرِ، ليظهرَ الوجه المتألم الذي أغفلهُ التاريخ "**وبعدَ أن صمتَ قليلاً أنشدَ وثمّة وجعٌ فادحٌ يتساقطُ من عينيه**"[١٩]. إنَّ هذا الوجع الفادح يؤكد أنَّ خلفَ العظمةِ التاريخيةِ شقاءً إنسانياً عميقاً، لم يستطع كشفهُ سوى التخييل الروائي.

٢-استعادة القلق الروحي والألم الداخلي للسهروردي

يستخدم التخييل هنا لانتشال السهروردي من كونه مجرّد شهيد عقائدي في سجلات التاريخ إلى كونهِ فيلسوفاً يعيشُ صراعاً داخلياً عميقاً، ويعيد تعريف دافعهُ الحقيقي الذي قُتلَ بسببهِ. يتمُّ ذلك عبر تكثيف الإحساس بالوجع الذي لم يذكره التاريخ.

تتجلّى أنسنة الرمز في الوصف السردي لحالتهِ، حيث يركّز الروائي على الضعف الإنساني والوجع الروحي كحقيقة وجودية "**قال الشيخ بصوتٍ مرهقٍ بالوجعِ وهو يرمقُ كلينا بنظرة مرهقة بوجع أشدّ**"[٢٠]. هذا التخييل هو الذي كشفَ أنَّ معاناة السهروردي لم تكن لحظية؛ بل كانت مرهقة ومتراكمة، وهو ما يبرز قلقهُ الوجودي.

كما يعمد التخييل إلى تبرئة وجدانهِ من لغة العنف والسلطة التي قتلَ بسببها، حيث يجعله يعلن "**الدم لغةُ العوام**"[٢١]. هذا الرفض التخييلي يضع السهروردي في مصاف الرموز التي ترى في التسامي الوجداني والمعرفي اللغة الحقيقية الوحيدة.

وتختتم هذهِ الأنسنة بتركيزه على المعرفة الباطنية كملجأ وحيد، في توجه روحي خالص "**باسمك اللهمَّ**"[٢٢]، "**اسألوا تعطوا، اطلبوا تجدوا، اقرعوا يفتح لكم**"[٢٣]. التخييل هنا يحول السهروردي من متمرّد سياسي إلى مرشد روحي يكشف أنَّ ولاءهُ كانَ لنور الأنوار لا للسلطة أو الدم.

٣-سخرية خير الدين الأسدي قناع للوجع المأساوي أمام العبث التاريخي

يستخدم التخييل في شخصيّة خير الدين الأسدي للكشف عن أنَّ السخرية والعبثية (التي اشتهرَ بهما) هما في حقيقتهما قناع للوجع الوجودي أمام فشل المثقف، التخييل هنا يحول المعاناة الفكرية إلى إرهاق جسدي ومأساة متكررة.

تتجلّى أنسنة الرمز في التجسيد المادي للألم الذي لم يذكره التاريخ، حيث يصف الروائي الإرهاق النفسي والجسدي الذي يعانيه الأسدي "**كانَ وجه الأسدي، بين خبرٍ وآخر، يزدادُ تغضناً، بل أخاديد على أخاديد وأثلاماً على أثلام، ويزفر من صدرهِ ما يشبهُ ناراً**"[٢٤]. هذا الوصف يحوّل القلق الفكري إلى حقيقة جسدية، ويؤكد عمق الوجع عبر صرختهِ المأساوية "**كفى يا بني، كفى، أكادُ أموتُ من جديد.**"[٢٥]. إنَّ الموت من جديد هو لغة التخييل في التعبير عن اليأس من الخلاص.

---

[١٨] المصدر نفسه: ص٤٣.
[١٩] المصدر نفسه: ص٧٣.
[٢٠] الصالح، نضال: سهر الورد، ص٧٧.
[٢١] المصدر نفسه: ص١٠٦.
[٢٢] المصدر نفسه: ص٧١.
[٢٣] المصدر نفسه: ص٧١.
[٢٤] الصالح، نضال: حبس الدم، ص٩٥.
[٢٥] المصدر نفسه: ص٩٥.

وتكتمل دورة كشف الوجدان عبر مشهد الضعف الإنساني الأقصى، حيث ينهار قناع السخرية، ليظهر الأسدي باكياً:

"**وبينما دموعٌ تزدحمُ في عينيه، وتغادرهما بعد عناد، فيخضّل شارباه ولحيته الباذخة البياض**"[٢٦]

هذه الدموع، التي خرجت بعد عناد؛ هي اعتراف التخييل بفشل المقاومة الفكرية أمام القهر المستمرّ.

المحور الثالث: التخييل كآلية لنقد القهر وإعادة إنتاج السلطة المعرفية

بعدَ أن استقرَّ التخييل على مستوى النصوص (المحور الأول) وكشف الوجدان (المحور الثاني)؛ يتحوّل في هذا المحور الثالث والأخير إلى آلية للنقد الجذري للسلطة والقهر. إنَّ الوظيفة النهائية للتخييل هنا في تفكيك التاريخ الرسمي الذي كتبهُ المنتصرون، وإعلان أنَّ السردية التاريخية ليست حقيقة مطلقة، بل خطاب متحيّز يخدم الطغيان.

١-المتنبي: نقد الإغراء وإعلان سلطة الذات الشاعرة

يتجلّى التخييل كآلية لنقد القهر وإعادة إنتاج السلطة المعرفية في شخصيّة المتنبي عبر تصفية علاقتهِ التاريخية بالسلطة، وتحويلها من علاقة نفعية إلى موقف مبدئي رافض. يركّز التخييل على صراع المتنبي القديم، مع كافور الإخشيدي، ليصبحَ هذا الصراع نموذجاً لنقد تبعية المثقف للحاكم.

يُعلن المتنبي في السرد التخييلي رفضه التام للإغراءات والمطالب المتكررة لمدح السلطان، ويؤكد على قوة موقفهِ أمام الضغوط المادية "**وعندما حطّت عصا الترحال بي في مصر، أمر كافور لي بمنزل، ووكّل بي جماعة، وطالبني بمدحه، فلم أفعل**".

ويصل التخييل ذروته في التجسيد المادي لتمرّد الشاعر، حيث يصوّر الروائي موقفهُ في حضرة القاهر، ليسَ موقف خضوع؛ بل موقف ندّيةٍ واستعداد للمواجهة. فالمتنبي يقف أمام كافور، بكامل عدّته القتالية ليواجهَ التهديد المحيط به "**وقفتُ بين يديه وفي رجلي خفان وفي وسطي سيفي ومنطقة، وأركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف**"[٢٧].

هنا التخييل يعيد إنتاج المتنبي كرمز لسلطة الكرامة التي لا يُمكن نزع سلاحها حتى في قصر الحاكم، مما يثبت أنَّ موقفه النهائي هو نقد لسلطة القهر وإعلان انتصار لسلطة الذات المتمردة التي تختصر مآلات التاريخ لديها بكلمة واحدة "**تدمر**"[٢٨]. فالتخييل الروائي يجعل من كلمة تدمر أداةً لنقد القهر عبر ربط مصير كل صراع على السلطة بمصير الخراب الأبدي، فهذا التكثيف اللغوي هو جوهر إعادة إنتاج سلطة المعرفة: سلطة الشاعر الذي يرى النهاية قبل أن تبدأ.

٢-السهروردي: نقد سلطة الاحتكار وإعلان عالمية التنوير

يتجسّد التخييل كآلية لنقد القهر في شخصيّة السهروردي عبر منحهِ سلطة نبوية تتجاوز قيد الزمن، ليتحول من شهيد للحاضر إلى شاهد على المستقبل، وهو ما يعيد إنتاج سلطة نور الأنوار التي آمن بها.

يبلغ التخييل ذروته في إعلان نقد سلطة الاحتكار المعرفي، حيث يجعل السهروردي يؤسّس لمبدأ عالمية التنوير ورفض أي احتكار للحقيقة، وهو نقد موجه لكل سلطة (سواء دينية أو سياسية) تحاول إغلاق باب البحث والوصول إلى المعرفة "**وليسَ العلم وقفاً على قوم ليغلقَ بعدهم باب الملكوت ويمنع المزيد عن العالمين**"[٢٩].

---

[٢٦] المصدر نفسه: ص٩٥.
[٢٧] الصالح، نضال: خبر عاجل، ص٧١.
[٢٨] المصدر السابق، ص٧٠.
[٢٩] الصالح، نضال: سهر الورد، ص٢٧.

كما يُعلن التخييل هذهِ السلطة البديلة عبر خلق رسالة نبوية سرية، موجهة إلى العارفين، مضمونها نقد للمآل الحتمي للقهر. هذهِ الرسالة تكشف عن رؤية العارف التي تتنبّأ بزوال السلطة القائمة ودمارها الوشيك "**ويقول لكَ إنَّ ريحاً صرصراً ستأتي على حلب... خرابٌ ودمار يلتهم أكثر المدينة، والحلوية منها**"[٣٠]. هذهِ النبوءة التخييلية هي نقد جذري للطغيان، إذ تثبت أنَّ طريق السلطة الظاهرة ينتهي حتماً إلى الخراب.

وفي المقابل؛ يتمّ إعادة إنتاج المقاومة الوجدانية كطريق للنجاة، حيث يدعو مريديه إلى الدفاع عن المدينة بما أوتوا من قوة المعرفة "فليدفع، ومريديه، الأذى عنها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً"[٣١]، فالتخييل هنا يؤسس لسلطة العارف كبديل لسلطة الحاكم.

٣-خير الدين الأسدي: نقد جهل القهر وإعلان سلطة الثقافة بديلاً

يتحول التخييل في شخصية الأسدي إلى آلية لنقد القهر عبر الإعلان عن نقد جذري للجهل الثقافي الذي يولّد العنف، مؤكداً أنَّ سلطة المثقف تتجاوز الجسد والموت.

يقدّم الأسدي نقداً مباشراً للقهر الذي طالَ مدينتهُ عبر ربطهِ بانعدام الوعي. فلو أنَّ المعتدين يمتلكون الحدّ الأدنى من الوعي الثقافي؛ لما حدثَ الدمار "**لو أنَّ الذين يدمرون حلب الآن يعرفون الصنوبريّ وحدهُ مما أبدعت حلب، لو أنّهم يعرفون قصيدتهُ هذهِ عن حلب، لو أنّهم يفهمون معنى قوله: حلب أكرم مأوى/ وكريم من أواها. لو يا بني**"[٣٢]. هذا الإعلان هو إعادة إنتاج لسلطة الثقافة والقيم كقوة وحيدة قادرة على منع الدمار.

ويصل التخييل إلى ذروته في مشهد الدفن الذاتي، حيث يرفض الأسدي أيَّ شكلٍ من أشكال التكريم الرسمي، ويختار أن يدفنَ نفسهُ بنفسهِ كإعلانٍ أخيرٍ عن سلطة كرامة الذات "**ثمَّ مضى إلى حفرته، وأخذ يستجمعُ ترابها فوق جسدهِ الضامر**"[٣٣]. هذا التمرّد الوجودي ترافقه إشارة إلى انتصار الإرث المعرفي، حيث يصدّق فيه قول الشاعر "**وكنت إذا أصابتني سهام.. تكسرت النصال على النصال**"[٣٤]. هذا الاستشهاد هو تأكيد على أنَّ سلطة الثقافة هي القوة التي لا تنكسر، وأنَّ **الروح** "**المزدحمة بغير حزن**"[٣٥] تغلبت على ألم الجسد وقهر الطغاة.

الخاتمة (الخلاصة والاستنتاجات)

يتّضح في نهاية هذا العرض أنَّ التخييل في العمل الروائي لم يكن مجرد أداة لتأريخ الماضي؛ بل كانَ آلية وجودية جدلية. فقد نجحَ التخييل أولاً في إعادة تأويل النصوص، منتزعاً الرموز من سياقاتها التاريخية الضيقة لتعودَ وتخدم الحاضر. وقامَ ثانياً بوظيفة أنسنة الرمز وكشف الوجدان، محولاً القوة الظاهرة للمتنبي أو التسامي العقلي للسهروردي إلى وجع إنساني وقلق روحي عميق.

وأخيراً؛ أثبت التخييل نفسهُ كأداة لنقد وإعادة إنتاج السلطة المعرفية، فبدلاً من أن يحتفي بانتصار الحكام والقتلة؛ نصّبَ التخييل سلطة المعرفة والثقافة كقوة وحيدة باقية، ليصبحَ التخييل هو الفعل الأكثر مقاومة للقهر عبر العصور.

[٣٠] الصالح، نضال: سهر الورد، ص٢٠.
[٣١] المصدر نفسه: ص٢٠.
[٣٢] الصالح، نضال: حبس الدم، ص١٠٧.
[٣٣] المصدر نفسه: ص ١٠٧.
[٣٤] المصدر نفسه: ١٠٧-١٠٨.
[٣٥] المصدر نفسه: ١٠٧.

المصادر والمراجع

١. أقلمون، عبد السلام: *الرواية والتاريخ سلطان الحكاية حكاية السلطان*، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م.

٢. حمادة، محمد سعيد: نضال الصالح أديباً وناقداً دراسات وشهادات.

٣. الدسوقي، عاصم: *فن الرواية وعلم التاريخ، مجلة الرواية قضايا وآفاق*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٢، القاهرة، ٢٠٠٩م.

٤. رشيد، أمجد مجدوب: *السرد الأنساق السيميائية والتخييل*، ط١، دار المالكي، بغداد، ٢٠١٩م.

٥. الصالح، نضال: حبس الدم، دار دلمون الجديدة، دمشق ٢٠١٩م.

٦. الصالح، نضال: *خبر عاجل، دار الآن ناشرون وموزعون*، عمّان ٢٠٢٠م.

٧. الصالح، نضال: *سهر الورد، دار الآن ناشرون وموزعون*، عمّان ٢٠٢٢م.

٨. لوكاتش، جورج: الرواية التاريخية، ترجمة: *صالح جواد الكاظم، دار الشؤون الثقافية العامة، ط٢* ، بغداد، ١٩٨٧م.